التكوين واللون كإيقاع موسيقي في اللوحة التجريدية

د. سميرة بن سعيد(*)

الملخص :

من خلال توظيف الشكل الهندسي وغنائية اللون والخط. استخدم الفنان الخط والتكوين كإيقاع موسيقي في لوحته التجريدية، فكانت أغلب أعمال الفن التجريدي ذات تعبير موسيقي فمن خلال صيغ التكرار الإيقاعي للمنظومات البنائية منح أشكاله حركة مستمرة ؛لتظهر بتكوينات بنائية ديناميكية تقود النظر إلى ما يشبه لغة الطلاسم والدلالات. إن التجريدية تتجلى من خلال تراكيب شكلية مجردة حققت تغير في الشكل المرئي إلى الأساسي المتخيل وللمرئي، وهذه التراكيب الشكلية تنفتح على المطلق اللامتناهي بان سياق تكويني يتجاوز حدود الزمن والمكان من خلال توظيف الشكل الهندسي وغنائية اللون والخطف في لوحات الفنان بول كلي صورت أشكال اشتملت على تنوع الخطوط والألوان الأساسية وتدرجاتها وتوزيعها على المساحة التصويرية بطريقة تقترب من الهندسيات، فاعتمد على الخطوط المستقيمة والعمودية والتي شكلت فضاءات لونية تتغنى من خلال الخطوط المتنوعة في الفضاء والمساحة برؤية جديدة بدون اختلال الاتزان أو المساس بإنشائية التكوين في اللوحة في هذا البحث يعرض بعض نماذج من أعمال للفنان بول كلي وهو نموذج حسّي لما يجول في وجدانه، يعبر فيه عن أفكاره وتعبيراته ذات الإيقاع موسيقي.

"الفنّ لا يصبح مرئيًّا إلا عندما يصدر من أعماق الكائن"
بول كلي

(*) كلية الفنون والاعلام- جامعة طرابلس.

المقدمة :

التجريد في الفن ويعني اختفاء معالم كل أثر يشير إلى ما تعودنا رؤيته في حياتنا من أشياء أو أشخاص وعندما يلجأ الفنان إلى التجريد نجده يستبدل المعالم البصرية وحقائق الأشياء بأخرى تدعونا إلى تأملها على هيئة مجموعة من الخطوط والألوان، ويتعمد الفنان التخلص من كل تشخيص والتغاضي عن سماته المألوفة الواقعية قدر الإمكان بهدف الإنشاء والتأليف بين الألوان والخطوط، ويتوجه أيضا إلى تجريد العقول من قيود الواقع المحددة إلى اللامعقول معتمدا على خبرته الشخصية ومستعينا بالمجاز باستعمال الشكل في غير ما وضع له.

لذلك إن التجريدية تتجلى من خلال تراكيب شكلية مجردة حققت اختراقية في الشكل المرئي إلى جوهر المتخيل والمرئي، وهذه التراكيب الشكلية تنفتح على المطلق اللامتناهي بانسياق بنائية توليدية تتجاوز حدود خضوعها الزمني والمكاني والتي أكدتها المثالية في الجمال الخالص من خلال توظيف الشكل الهندسي وغنائية اللون والخط. الفنان بول كلي استخدم في أعماله الخط والتكوين كإيقاع موسيقي في لوحته التجريدية، فكانت أغلب أعماله ذات تعبير موسيقي فمن خلال صياغة التكرار الإيقاعي للعناصر البنائية منح أشكاله حركة مستمرة؛ لتظهر بتكوينات بنائية ديناميكية تقود النظر إلى ما يشبه لغة مجردة لها مدلول روحي قوي المعنى مستمد من كيفية استخدام هذه الخصائص لخلق تجربة بصرية أو حسية، دماغية، عاطفية. وقد اتضح من خلال أعمال بول كلي أن الفنان التجريدي يعبر عن انفعالاته وإحساسه باستخدام مواد مختلفة ولا يقتصر على نوع واحد فقط، مثلا الألوان المائية والطباشير الزيت والحفر على مساحة السطح التصويري وبشكل منتظم فنجد الألوان منتشرة على مساحة اللوحة وبطريقة مرتبة محصورة في الشكل، فاعتمد الفنان على (لون، خط) القيم الجمالية بصورة خاصة فجمال اللوحة تجلت من خلال تناغم علاقة الخط باللون. وكذلك اعتمد الفنان على التضاد اللوني بين (اللون الحار، اللون البارد) وكذلك اعتمد على التشبع اللوني وكذلك قوة الخطوط عند بقع الألوان المتدرجة. ومن خلال ذلك يتضح أن تجريد الشكل يقترب من النغمات الموسيقية لما في ذلك من

ضرورة روحية، وأيضا من خلال أعمال بول كلي يتضح أن تجريد الشكل يقترب من النغمات الموسيقية لما في ذلك من ضرورة روحية، تتجه بالجمال للمسار الفلسفي المثالي في تكوينه الفني. وأيضاً قدرته على نقل المشاعر والأفكار العاطفية أو التعبيرية دون الاعتماد على أشكال موضوعية معروفة موجودة بالفعل في الواقع.

مشكلة البحث :

المعرفة السائدة عند البعض أن الفن التجريدي فن ارتجالي (غامض) ويخلو من المقاييس الفنية والجمالية وأنه عبارة عن مجموعة تكوينات اعتباطية وخربشة مع تناثر ألوان بعشوائية.

- من الناحية الأكاديمية فإن عدم معرفة الطالب أسس التكوين التجريدي في بداية التخصص في مجال الفنون الجميلة والتطبيقية، يفقد الطالب المعرفة (التطبيقية والحرفية) بالمدارس الفنية الحديثة وخصوصا المدرسة التجريدية.
- في التدريس عدم منح الطالب الحرية واختيار المدرسة الفنية من المدارس الحديثة في مجال تخصصه.

أهداف البحث :

- يسعى البحث للتأكيد على ضرورة تدريس الثقافة الفنية للمسار الفلسفي المثالي للتكوين الفني ومعرفة أسس الفن التجريدي والتعبيري الجوهري له.
- إعطاء الحرية للطالب لاكتشاف شكل وموضوع مبتكر من الشكل الواقعي المرئي ومعرفته التكوين الفني المختزل مع مراعاة التكوينات البنائية الصحيحة التي تدرس في مادة التكوين وأسس التصميم بحيث يعبر فيه عن مكنونات روحية تصاغ من خلال الخط واللون.
- إعطاء الفرصة للطالب بأن يعبر عن انفعالاته وإحساسه باستخدام التقنية المتاحة له على مساحة السطح التصويري بشكل منتظم.

أهمية البحث :

- اتساع دائرة المعرفة الفنية للمدرسة التجريدية لمعرف القيم الجمالية فجمال اللوحة التجريدية تجلى من خلال تناغم علاقة التكوين بين الخط والمساحة واللون.

- بث روح الانسجام بين الشعور والتعبير في اللوحة التشكيلية لخلق تجربة بصرية أو حسية.

الفن التجريدي (مدلول تعبيري) :

قبل القرن العشرين، كان الفن الرفيع في العالم الواقعي أي "تمثيلي" كلاسيكي، مما يعني أنه كان يبدو شيئًا معروفًا. سواء كانت لوحة لوعاء من الفاكهة، أو الجبال والحدائق، أو مناظر طبيعية بالغة الدقة في التفاصيل أو حفل غنائي أو مائدة زاخرة بالطعام والفاكهة مع سيدات أميرات ورجال فرسان - يمكننا أن نرى على الفور ماهية هذه الأشياء، وماذا كان العمل الفني، كان الفن سهل الفهم وواضح ولكن تغيرت الأمور كثيرا في القرن العشرين. تسارعت الحياة بتقدم التكنولوجيا بسرعة فائقة ازدهرت الطبقة الوسطى وأفكار جديدة ازدهرت، حقق العلم اكتشافات جديدة، وحطم إدراكنا القديم للطريقة التي كانت عليها الأمور. وعلى هذا النحو سعى الفنانون إلى طريقة جديدة للتعبير عن أنفسهم دون كلمات، وبدون قيود وبدون حدود وهذه الاحتياجات الجديدة تحتاج إلى تقنيات جديدة وقد وجد فنانوا المدرسة الحديثة والعصريون طرقًا ووسائل جديدة لتنفيذ فنهم والتعبير عنه، لذلك لجأوا إلى الفن التجريدي مع أن بعض الناس غير مرتاحين لأنهم لا يعرفون تلقائيًا ما هو الفن بمجرد نظرة خاطفة أو أنهم يفترضون ذلك ؛لأنه لا يشبه أي شيء، فهو ليس أي شيء. فلا يحتوي الفن التجريدي على كائنات يمكن التعرف عليها؛ لذلك لا يوجد شيء لفهمه أو التمسك به. يمكن أن يكون هذا مربكًا للغاية، لبعض الذين لم يعتادوا على تعيين معانيهم الخاصة لما يرونه أمامهم.

إن فهم الفن التجريدي لا يأتي بشكل طبيعي للجميع. إنه نوع من الفنون الذي يجعل بعض الناس يرونه ويقولون: "يمكن لطفل البالغ من العمر 5 سنوات أن يفعل ذلك". ما لا يدركه الناس هو أن أفضل الفنانين التجريديين لديهم مهارات ممتازة في الرسم، وشعور دقيق للتأليف، وفهم عميق في التعامل مع الألوان. معظم الفنانين التجريديين لديهم القدرة على رسم صورة واقعية، لكنهم يختارون عنصر ولون غير الواقع.

عـرّف أفلاطـون التجريديـة بأنهـا أسـلوب جمـالي فـتح أفقـا مسـتقبلياً للمسـار الفلسـفي النمـوذجي، كمـا أسـتنبط أفلاطـون قضـية الجمـال المطلـق، مـن الأشـكال التجريدية ذات الطابع البنائي الهندسي، والتي تلازمت مع الصورة العقلية أو الذهنية المجـردة. وذلـك بـأن الجمـال في النظـام والعناصـر (الميتافيزيقيـة)، (الوحـدة والتعـدد والانسجام والتماثل والتناسب) تتميز بالجمال والكمال.[1]

من خلال ذلك نستطيع أن نعرف التجريدية وتعني الابتعاد عن تصوير المظاهر الخارجية للطبيعة وتتميز باستخدام اللون المعبر عن الانفعالات مباشرة دون الاهتمام بالشكل. التجريدي وقد اختاروا التعبير عن إبداعاتهم من خلال إنشاء تجربة بصرية أكثر حراكا وغير مرتبطًة بوزن الأشياء، استخدام شكل، لون، خط، ملمس، نمط، تكوين عملية لتقديم الأفكار وتشير العواطف إلى أن الفنانين، مثل فنهم، يتشكلون من خلال العصر الذي يعملون فيه هم متأثرون بما يحدث في المجتمع والسياسة وتقلبات العقل الفكري، التي تتداخل مع ثقافة المجتمع اليومية وحياتهم. كل هذه العوامل تترك انطباعات على عقل الفنان، وتحدد بدورها شكل واتجاه العمل الفني. الفن التجريدي كأسلوب عام يصف الفن غير الموضوعي، إلا أن هناك العديد من الأنماط المختلفة داخل هذا النوع، وكل نمط من الفن التجريدي يخدم معناه بالإضافة إلى ذلك، يمتلك كل فنان أسلوبه الخاص. على سبيل المثال، يستخدم بعض الفنانين العديد من الألوان، في حين يستخدم البعض الآخر الحد الأدنى من الألوان، هناك العديد من الطرق المختلفة للتعامل مع الفن التجريدي. البسيط والتعبير التجريدي ومنها التجريدية الهندسية وتعتمد على استخدام الأشكال الهندسية وعلم الهندسة و التجريدية الرياضية وتظهر فيها محاولة الفنان استخلاص القوانين الرياضية التي تحكم بناء الجمال الشكلي للأشياء من الناحية الشكلية مثل التناسب والانسجام والتوافق وقد أثر هذا المذهب رغم حداثته في التصميم والعمارة. والتجريدية الحركية وتنقسم إلى الحركة الساكنة الحركة الآلية والحركة الفعلية غير الآلية والحركة الضوئية واتخذ التجريد طرقا ثلاث وهي التجريد عن طريق الحذف والتجريد عن

(1) البسيوني. عفيفي 1927 التجريد في الفن: القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1950.

طريق الإضافة حيث تستمر عمليات الإضافة للخطوط والألوان إلى درجة فقدان العنصر لشكله الحقيقي والتجريد عن طريق التحوير والتحريف تجريد الأشكال والاعتماد على قوانين مطلقة للمثالية الافلاطونية، كالوحدة والتوازن والانسجام والتضاد والتي بدورها تولد إحساساً نقياً (1). للوحات كلي صورت الشكل والألوان اشتملت على الألوان الأساسية وتدرجاتها هي (الأحمر والأزرق والأصفر) وزعها على المساحة التصويرية بطريقة تقترب من الهندسيات، فاعتمد على الخطوط المستقيمة والعمودية والتي شكلت فضاءات لونية.

قدرة الفن التجريدي على التعبير :

الحقيقة هي أن الفن التجريدي ليس "فن لا شيء أو ارتجالي" هو يدور حول الشكل واللون والخط والملمس والنمط والتكوين. هذه هي الصفات الرسمية للعمل الفني ؛ لأنها تصف ما يبدو عليه الفن وكيف يتم إنشاؤه. الفن التجريدي هو استكشاف لهذه الصفات وعناصر التكوين الأساسية للعمل الفني. والمعنى والمضمون مستمد من كيفية استخدام هذه القيم الفنية لخلق تجربة بصرية (و / أو حسية، دماغية، عاطفية، إلخ). وبذلك اللوحات والرسومات التجريدية جزء أساسيً و بدائيً من وجودنا بعيدًا عن اللغة، ويتخطى التعريفات من خلال الاستفادة من عناصر التكوين من شكل، لون، خط، الملمس، نمط، تكوين والعمل المجرد يسمح للفنانين بالحرية والمرونة في التعبير. و لفهم الفن التجريدي كل ما يتطلب الأمر هو نظرة عميقة وعقل متفتح وخيال كبير.

يستخدم الفن التجريدي للتعبير عن مضمونه اللون النقي والشكل النموذجي للتعبير عن معناه، دون اللجوء للوقائع التي تحملها الطبيعة والمحاكاة، يمكن للفن التجريدي أن يلمس العواطف بطريقة مباشرة وقوية عن ما لا تستطيع الأنماط الفنية المباشرة أن تفعله. يمكن أن يعالج المفاهيم غير الملموسة والنظرية، الموجودة في عقل العقل والروح وليس في الواقع الخارجي.

هناك العديد من الأنماط المختلفة داخل هذا النوع. كل نمط من الفن التجريدي يخدم معناه. بالإضافة إلى ذلك، يمتلك كل فنان أسلوبه الخاص. على سبيل

المثال، يستخدم بعض الفنانين العديد من الألوان، في حين يستخدم البعض الآخر الحد الأدنى من الألوان. يضم بعض الفنانين التجريدين الكثير من الأنماط والتفاصيل، والبعض الآخر يرسم كتلًا كبيرة من الألوان. هناك فنانون يركزون على الفضاء السلبي والإيجابي، بينما يركز البعض الآخر على رواية القصص المرئية، باختصار هناك العديد من الطرق المختلفة للتعامل مع الفن التجريدي في اللوحات الفنية والرسومات بطريقة جديدة للتعبير عن الأفكار في عالم سريع التغير من الناحية البصرية. المرحلة التجريدية لم تكن مصادفة إنما رغبة في التجديد والابتكار بعد فترة المدرسة الواقعية الكلاسيكية فترة المحاكاة وتقليد الواقع و مع اكتشاف التصوير كان تأثير كبير على عالم الفن إذن ما هو الهدف من المحاكاة في فن الرسم والتصوير؟ إذا كانت الآلة قادرة على تكرار الواقع بسهولة أكبر لذا بدأ الفنانون يتساءلون عن دور الفنان، بالإضافة إلى جميع الأسئلة والتغييرات الأخرى التي تحدث في ذلك الوقت .التكعيبية، المدرسة الوحشية، الانطباعية وبعد الانطباعية كانت جميع سوابق الفن التجريدي لقد استكشفت حركات الفن طبيعة التصوير من خلال تحطيم "قواعد" الفن التقليدي فكانت الطريق لظهور الفن التجريدي وذلك بتجريد الشكل طبيعي باستخدام الطبيعة كنقطة انطلاق له، أصبحت الصور أكثر تجريدًا واختزالا، مثال تلك التي لها أساسها في الأشكال الطبيعية.[1]

كان بول كلي(1879 -1940) فنانًا ألمانيًا من مواليد سويسرا وكان أحد أهم الفنانين في القرن العشرين. كان عمله المجرد متنوعًا ولا يمكن تصنيفه، ولكنه تأثر بالتعبيرية والسريالية والتكعيبية. وقد أظهر أسلوبه المبدئي في الرسم واستخدام الرموز في فنه منظوره الخفي والطفولي أن تجب ولكلي أكثر من 9.000 عمل فني خلال حياته، تتألف أعماله من لغة تصويرية تجريدية شخصية للعلامات والخطوط والأشكال والألوان وكانت خلال فترة زمنية محددة في فترة الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، مرتبطة في الأصل مع المجموعة الألمانية التعبيرية بمدرسة الفن

(1) جيروم ستولنتز،1981 النقد الفني ـ دراسة جمالية وفلسفية ـ ترجمة فؤاد زكريا ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت

الألمانية المؤثرة على نطاق واسع في فترة ما بين الحربين. غير أنه لا يمكن تصنيف مجموعة أعمال كلي متنوعة وفقا لأي حركة فنية واحدة أو "مدرسة".

كان كلي موسيقيا لمعظم حياته، وغالبا ما يمارس العزف على الكمان. وبطبيعة الحال اكتشف التناظر بين الموسيقى والفن البصري، والقوة المعبرة من اللون كما هو أقرب إلى ذلك من النوتة الموسيقية، فكان يحول الإيقاعات البصرية في الرسومات إلى الإيقاعات الهيكلية، من خلال التكوينات الموسيقية تحدى بول كلي الحدود التقليدية التي تفصل بين الكتابة والفن البصري من خلال استكشاف لغة تعبيرية جديدة وموجزة إلى حد كبير أو شعرية من الرموز والرموز التصويرية. أما تكون شكل سهام أو حروف أو رموز موسيقية أو حروف هيروغليفية القديمة أو بعض الخطوط السوداء.[1]

لوحاته، التي هي في بعض الأحيان تتميز باللون، الطفولي، العفوي، البدائي، أو غير ذلك بارع، بمثابة مصدر إلهام، فضلا عن العديد من الفنانين الآخرين في القرن العشرين واستخدامه أسلوب التصميم والأنماط واللون والتراكيب المصغرة في توظيف الفن كنافذة على المبدأ الفلسفي.[2]

الفن التجريدي يمثل الموسيقى المرئية عند بول كلي :

العمل الفني لبول كلي تعبير عن حقيقة متجددة، ولكن بصيغ جديدة وبقدرات مبتكرة في تحليل عناصر الواقع، ومن ثم إعادة تركيبها في الصور الجديدة. التعبير في عمل بول كلي هو نتيجة تفاعل الفكرة، سواء كانت جوهرية أو روحية أو باطني أو كونية، مع روح ورمزية التقنية، يذوب بتفاعل واحد وديناميكي حتى الوصول إلى عملية التعبير. فالفنان لا يصف «أشياء»، وإنّما يعبر عن معان نفسية أو ذهنية. كلي موسيقي معظم حياته، وغالبا ما يمارس العزف على الكمان كما الإحماء للرسم. وبطبيعة الحال رأى التناظر بين الموسيقى والفن البصري فاستخدم الفنان الخط والتكوين كإيقاع موسيقي في لوحته التجريدية، فكانت أغلب أعمال

(1) https://en.wikipedia.org/wiki/Paul_Klee

(2) طارق مراد، 2007 موسوعة المدارس الفنية للرسم التجريدية و الفن التكعيبي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان

الفنان (بول كلي) ذات تعبير موسيقي فمن خلال صيغ التكرار الإيقاعي للمنظومات البنائية منح أشكاله حركة مستمرة لتظهر بتكوينات بنائية ديناميكية تقود النظر إلى ما يشبه لغة الطلاسم والرموز

اما الموسيقى فتشكلت بالألوان والتصاميم المتكونة بأشكال منسجمة وكأنها ألحان يتردد صداها في اللوحة وتتردد في عقل المشاهد وقلبه .وقد تأثر العديد من الفنانين بالموسيقى، مثل بول كلي.فكان عنده أسلوب وهيئة الفن التجريدي هو الانسجام في أنماط وإيقاعات اللون والشكل والخط.

ولد بول كلي في عائلة مبدعة، كانوا يميلون إلى الموسيقى . كان والده مدرس موسيقى، بينما كانت والدته مغنية. وعازفة اتبع كلي، في البداية، خطى والديه .عندما كان طفلًا صغيرًا، كان محبا وذواقا للموسيقى الكلاسيكية في سن السابعة، بدأ العزف على الكمان، وبلغ ذروته في مهمة عازف كمان لأوركسترا عندما كان في العشرينات من عمره. بعدها قرر كلي التخلي عن مهنة موسيقية على الرغم من أن الموسيقى ظلت مصدر إلهام مهم لمعظم حياته المهنية .في عام 1905 م، بعد ما يقرب من عقد من تغيير المسارات المهنية، كشف: "المزيد والمزيد من أوجه التشابه بين الموسيقى وفن الجرافيك وألوانه وخطوطه التي تفرض نفسها على أعماله.[3]

اتخذ الفنان طرق عدة للوصول إلى ما يسمى التجريد، ومثال ذلك التكعيبية من خلال الزاوية الهندسية، مع سيطرة الروابط التحليلية حتى تختلف الأشكال الهندسية شكلها ومصدرها الأصلي، وتتغير إلى مجرد (مثلثات ومربعات ودوائر وأقواس) منفذة بملامس مختلفة. على الرغم من وجود الفن التجريدي كأسلوب عام يصف الفن غير الموضوعي، إلا أن هناك العديد من الأنماط المختلفة. كل نمط من الفن التجريدي يخدم معناه بالإضافة إلى ذلك، يمتلك بول كلي أسلوبه الخاص عن غيره. على سبيل المثال، يستخدم العديد من الألوان، في حين يستخدم البعض الآخر الحد الأدنى من الألوان، استخدم الطرق المختلفة للتعامل مع الفن التجريدي التعبيري. البساطة، عالم من التدرج اللوني، والتجريد الغنائي، والتجريد والبناء الهندسي. والطبيعي.[4]

بول كلي بحث عن مثالية الجمال والتي تتأكد عبر الجمع بين الوجدان والعناصر الشكلية بألوان صافية نقية، وبأشكال سهلة وبسيطة، وتناغم ايقاعي ذو زوايا متأثراً بموسيقاه، وذو مساحات قاسية خشنة، وقد تصل إلى الإحساس بالقسوة أحياناً لكسب صفة منزهة بالحدس والتعبير. تشغل الرسومات التجريدية جزءًا أساسيًا و بدائيًا من وجودنا - الجزء منا الذي يختبر الحياة بدون كلام، بعيدًا عن اللغة، ويتخطى التعريفات. من خلال الاستفادة من عناصر واضحة في (الشكل، اللون، الخط، الملمس، النمط، التكوين)، أعماله اتسمت بالتجريد وهي ذات حرية ومرونة في التعبير عن وجهات عالمه والحقائق الداخلية.

التقنية المستخدمة في أعمال الفنان بول كلي :

أثرت التقنيات التي استخدمها كلي على قوة التعبير والتميز الفني فكانت هي عملية تجريب باستمرار مع التقنيات الفنية والقوة التعبيرية من اللون، فغالبا ما كسر القواعد التقليدية أو "الأكاديمية" لقد استخدم (كلي) في اتجاه رسومه لغة من العلامات والرموز من الباطن تمزج الواقع والتجريد. في اعتقاده أن الفنان إنسان طبيعي فهو جزء من الطبيعة ؛ لذلك كان يرى أن التجربة وحدها لا تكفي فكان يبحث عن العلاقة بين العقل والطبيعة. كما قام كلي بتطبيق الطلاء بطرق غير عادية، مثل الرش والطباعة. وأيضا مجموعة متنوعة من المواد اليومية، مثل الخيش، الورق المقوى، والشاش. الزيوت على قماش.

فاستخدم القلم والألوان المائية والزيت وأيضاً استخدم القماش الناعم والخشن واللوحة مطلية بالدهن، وكان أيضاً متيقظاً إلى أن الإيحاءات الواقعية للمواد المستخدمة لتنفيذ أعماله ليست ببعيدة عن التلقائية والبساطة فهي أقرب المواد وأكثرها التصاقا بالبيئة والطبيعة بل وأكثرها قدرة على التعبير عن محتوى الفكرة ومضمونها.[1]

(1) Munre, T. The psychology of Art: Past, Present, Future, in: psychology and Visual art, ed. by. J. Hogg. London: Penguin Book, 1969,.

أي أن الخامة التي يتعامل معها بول كلي ملائمة بصورة كبيرة للتعبير عن البساطة والتلقائية. كان بول كلي يسعى إلى استعادة تلك المفردات النابعة من سجية الإنسان البدائي بنفس البساطة والتلقائية، وقد تحمل ذات الرموز والمفردات لاكتشاف حلول جديدة أكثر من البساطة.

المحاكاة المجردة في أعمال بول كلي :

ابتعد الفنان بول كلي في تشييده للشكل عن السياقات الواقعية الموضوعية التي تحاكي العالم المرئي إذ ابتعد في هذه اللوحة الذاتية ولو جزئياً، عن التخلي عن المحسوس الواقعي بوصفه مرجعاً.

ومع رؤية الفنان كلي للشكل المجرد ففي استخدامات الألوان، استخدم درجات الألوان الأساسية، تلك التي يمكن اشتقاقها من ألوان أساسية والعناصر ذاتها خطوط لها مرجعية حسية، تتخذ أعماله التكوينات الشكلية البساطة والتلقائية منهجا في صياغة المفردات البصرية، وهي ترسم ذات المنهج الذي اتبعه الإنسان القديم في توثيق رؤيته الخاصة عما يحيط به في البيئة ولذا نجده أحيانا يكتفي ببعدين مهملا البعد الثالث في لوحاته الجدارية مهملا المنظور فيها، أو يطرح علاقات أو نسب جديدة وفق رؤيته الخاصة، أو يختزل كثيرا من الأجزاء التي يجد بأنها غير ضرورية أو ذات أهمية في الموضوع وهكذا فإنه يسعى إلى الوصول إلى لغة بصرية تعالج الشكل وفق منظور يتلاءم مع بساطة المادة وسحرية الفكرة كما سنرى لاحقا في بعض أعماله في البحث.

ويتبع أسلوب الفنان في معظم الأساليب الفنية منذ بداية القرن العشرين، من خلال بناء الأساسيات الشكلية الموزعة في التكوين للشكل وهو في نفس الوقت يحاول الوصول إلى ابتكار لغة الشكل الخاصة به في المفهوم الحديث فإن أبسط الأشكال كانت دوما تحمل أكبر الدلالات والمعاني والأكثر قدرة على التأثير والتعبير عن الفكرة ومحتواها. وفقا لآراء "أرسطو" التي ترى أن (المحاكاة غريزة في

الإنسان منذ طفولته، ويميزه عن الحيوانات الأخرى أنه من بينها الأكثر تقليدا، وأنه بهذه الغريزة يتلقى معارفه).[1]

وإذا كانت المحاكاة في فن كلي غالبا ما تختزل الواقع ولا يأخذ من المحاكاة إلا بقدر ما يعكس ذلك من إمكانيته في التعبير عن أفكاره، وليس لتقليد ما هو كائن أمامه وإن بدا بأن ما يصنعه الفنان هو صورة ساذجة وبسيطة فالواقع أن. كلي أبدع في أعماله، من خلال النسق الفكري الذي ينتمي إليه بمعنى أن العمل لا ينقله ولا ينسخه، كما أنه لا يتقيد بما تفرضه نظرية المحاكاة، فإنه بالضرورة يقدم نموذج حسّيا لما يجول في وجدانه، أي أنه (يعبّر) عن أفكاره، وأشياء تختلج في نفسه، عبر رؤيته، ولا يقوم بمحاكاة الواقع.

التكوين واللون كإيقاع موسيقي في أعمال بول كلي :

الخط واللون واختزال الشكل الواقعي وتجرد عناصره وبساطة الترتيب هذا يقودنا إلى الإيقاع الشكلي واللوني عند أعمال بول كليا ستخدم الفنان الخط والتكوين كإيقاع موسيقي في لوحته التجريدية، فكانت أغلب أعمال الفنان كلي ذات تعبير موسيقي فمن خلال صيغ التكرار الإيقاعي للتكوينات البنائية منح أشكاله حركة مستمرة ومستديمة؛ لتظهر بتراكيب بنائية ديناميكية تقود النظر إلى ما يشبه لغة الطلاسم. ونرى في لوحات كلي الخطوط واضحة وجميلة فجسد الرمز بصيغة فنية، وقام بول كليب تحويل الاتجاه من الانفعال إلى الهدوء في التعبير عما هو داخل اللوحة الفنية".[6]

إن بنائية الشكل الخالص لدى كلي استمدت قيمها الجمالية المثالية من خلال منظومات شكلية مجردة تنهض على ما حققه من تجانس بين المتضادات البنائية في الخط واللون، دون انغماسه في واقع المرئيات بل خلق لغة نسقية من الإشارات.

- **التكوين واللون كإيقاع موسيقي في اللوحة رقم** 1 Ad Parnassum 1932م:

(1) فداء حسين ابو ديسة، خلود بدر غيث، محمد علي الصمادي، فلسفة الجمال عبر العصور، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع عمان الاردن ط1 2010 العدد الثالث والرابع.

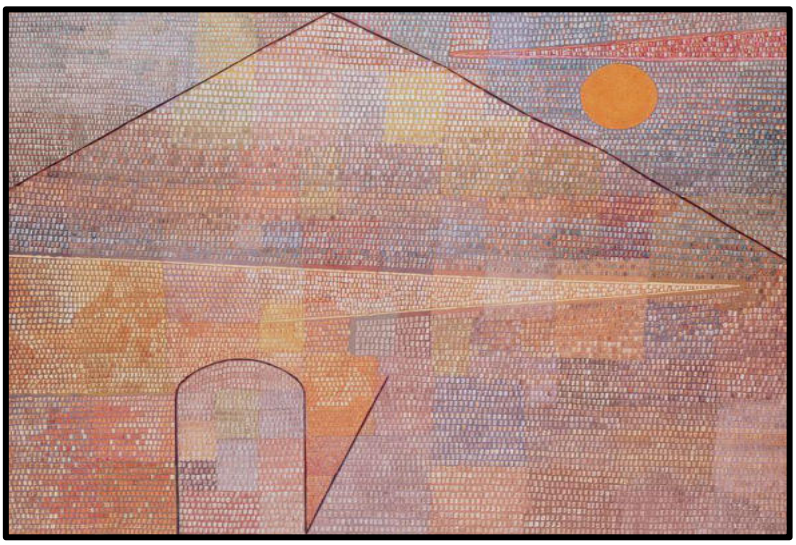

اللوحة رقم1:1932Ad Parnassum م للفنان بول كلي7

لوحة Ad Parnassum 1أحد أعماله في باوهاوس، ودوسلدور فهي لوحة تنقيطية عندما مزج كلي أسلوبه الفريد في التلوين وخلفيته الموسيقية استلهم " Ad Parnassum" من رحلة كلي إلى مصر في 1928 -1929 ويعتبره كثيرون أحد روائعه. وهي عبارة عن قطعة تشبه الفسيفساء مصنوعة بأسلوب التنقيط، والتي بدأ استخدامها كلي حوالي عام 1930. كما أنها واحدة من أكبر لوحاته في 39 × 50 بوصة وكان الفنان يستخدم الضربات السريعة في اللوحة للتخلص من الانطباعية التي كانت سائدة في ذلك الوقت.[1]

في هذه اللوحة، خلق كلي تأثير الهرم من تكرار النقاط الفردية والخطوط والتحولات. إنه عمل معقد متعدد الطبقات، مع تحولات نغمية في المربعات الصغيرة، مما يخلق تأثير الضوء عن الأشكال الهندسية بحيث نجد صعوبة في إيجاد نقط التلاشي ونجد الفنان رسم نقط التلاشي الهرمية بطريقة لا متناهية مركزها الروح والخيال. وعند أسفل اللوحة نجد بسهولة عمق اللوحة بباب ينقلنا إلى ما وراء الحائط

1 - https://www.marefa.org/

غير مرئي فقط بخط ذو منظور مجرد أما عنصر التوازن فيقف خلف نقطة دائرية برتقالية توحي بالشمس و بخط يمثل السحاب برتقالي غامق الدرجة لزيادة العمق اختار الفنان لتكون حلقة وصل وتوازن لوني في اللوحة.

- **التكوين واللون كإيقاع موسيقي في اللوحة رقم 2Temple Gardens حدائق المعبد1920م:**

اللوحة رقم 2: Temple Gardens حدائق المعبد 1920م للفنان بول كلي

لوحة 2حدائق المعبد لمنظر طبيعي. مقسم إلى ثلاثة أجزاء مع أنها للوهلة الأولى لا تعبر عن منظر طبيعي، إذا نظرت إليها عن قرب، يمكنك أن ترى من أين يأتي الإلهام .يمكنك رؤية التلال الخضراء المتدحرجة، صفوف النباتات النخيل طرق منحنية، وإضاءة الشمس المشرقة منتشرة في أرجاء اللوحة عن طريق الألوان البرتقالية الحارة والدافئة بدرجات البرتقالي، تبدو اللوحة من عناصرها مجردة. إن الشكل التجريدي والتراكيب الهندسية تشكّل النظام التجريدي الذي يعتمد على عناصر بنائية ثابتة ومتمركزة هي (اللون والخط والشكل والفضاء) إذ يعمل اللون ببناء وقانون نظامي محققاً إيقاعاً لونياً منسجماً في كل وحدات التكوينمن خلال التكرار اللوني. فالعمل احتوى على بنية تأليفات لونية متمازجة، مشكلة من اللونين (الصفر + البرتقالي) مع تدرجاتهم بانسيابية مع الخطوط المنحنية وكأنها سجادة مع الأقواس

مكونة لوحة هرمونية ذات إيقاع موسيقي واضح ومتواصل. عند رؤيتنا للعمل الفني نجد أن الفنان يعبر عن انفعالاته فنشاهد في هذه اللوحة انتشار الألوان على مساحة السطح التصويري بشكل غير منتظم، فنجد الألوان منتشرة على مساحة اللوحة وبطريقة ارتجالية تبحث التحرر من القيود، فاعتمد الفنان على (ألوان، خط) القيم الجمالية بصورة خاصة فجمال اللوحة وقدرة الفنان تجلت من خلال ترابط علاقة الخط باللون. وكذلك اعتمد الفنان على التضاد اللوني بين (اللون الحار، اللون البارد) وكذلك اعتمد على التشبع اللوني وقوة الخطوط.

- **التكوين واللون كإيقاع موسيقي فياللوحة رقم 3**Castle and Sun**الشمس والقلعة1928م:**

اللوحة رقم 3: Castle and Sun الشمس والقلعة1928م.للفنانبول كلي

لوحة 3 الشمس والقلعة هي لوحة مجردة بحتة، نلاحظ في هذه اللوحة مسطحات لونية ذات منظور متراكب بحيث اشتغل سطوحه بحفريات بارزة لخطوط مجردة دالة على واجهات بيوت وشبابيك وأبواب تشتبك مع تكوينات زخرفية هندسية ذات أصل نباتي في جانب فيها، وينشأ على سطح لوحته هذا عالماً خياليا من الانسجام والتوافق، مما يتفق مع رؤية كلية إلى العالم والموجودات الحسية وتحويلها إلى فن متحرر من القيود، فالبيوت التي رسمها والأشكال المعمارية لا ترى من الخارج فقط، بل من الداخل الباطني أيضاً، يرسم كلي في لوحته هذه أماكن مفترضة ومعمارية لا ترى إلا بعين الخيال والوحدات المصورة تبدو أنها رشحت من أحاسيس خاصة؛ لتصبح هذه الإحساسات تمتلك قابليتها في الإشعاع والتواصل إلى مالا نهاية، فالتقسيمات

المربعة والمستطيلة بخطوطها الناتئة الأفقية والعمودية ومساحات الألوان المتداخلة يذكرنا بالزخارف الإسلامية وأسهمت هذه الوحدات في خلق حرية متخيلة فالخطوط الغائرة مع تمركز الشكل الدائري للشمس جعل التوازن في الكتل موزعة بطريقة توحي أكثر مما يوصف، فهو مدنا بسحرية وعالم خيالي لا يمكن رؤيته إلا من خلال الفن. اللوحة 3 هي صورة تتألف من أنماط ملونة وتصاميم معقدة. موضوع هذه اللوحة هو مختلف عن اللوحة رقم 2 كالإيقاع الموسيقى عندما مزج كلي أسلوبه الفريد في التلوين وخلفيته بالأشكال المتنوعة جعل المشاهد يسبح في نغم موسيقي وينتقل بين الأشكال المتنوعة ويغير في صيغة الخطوط وتراكيب أشكالها. إن بنائية الشكل الخالص لدى كلي استمدت قيمها الجمالية المثالية من خلال منظومات شكلية مجردة تنهض على ما حققه من تجانس بين المتضادات البنائية في الخط واللون، دون انغماسه في واقع المرئيات بل خلق لغة نسقية من الإشارات.

- **التكوين واللون كإيقاع موسيقي في اللوحة رقم 4 الحدائق الجنوبية 1936:**

اللوحة رقم 4 :الحدائق الجنوبية 1936 م للفنان بول كلي

لوحة الحدائق الجنوبية قسمت لعدة مساحات هندسية بين مثلثات وشبه منحرف متناوبة في اللون والمساحة وقسمت بخط عرضي وكأنه يفصل السماء والأرض وتناقلت المزروعات العشبية بتوزيع عشوائي مختلف اللون بين الأحمر والأخضر على أرضية شبه باهتة ترابية مخضرة وبرتقالية بمساحات معدودة، مما أدى إلى انسجام إيقاعي وتوازن شكلي في التكوين وإيقاع لوني متناقض هناك إيقاع رتيب وهو

تكرار الذي تتشابه فيه جميع الوحدات والفترات من حيث الحجم و المساحة والشكل والموقع واللون. وأيضا - إيقاع حر يحكمه إدراك فني عالي، فيه الوحدات والطبقات مرتبة بشكل مقبول في الشجيرات وتشكلاتها على عناصر بنائية متحررة من قيود في بناء هندسي بطابعها التنظيمي العقلي وما يميز اللوحة شكلا التكرار للوحدات الهندسية الطبيعة المجردة والنقطة المركزية السوداء التي أدت إلى مركزية وعمق في اللوحة وتراكيب المساحات الخالصة التي أظهرتها الخطوط غطت المساحات اللونية بشكل كامل وأحدثت تناغماً مع انتقالات اللون بشكل تتكشف فيه آلية النسق البنائي الكلي الذي تحكم بالنسيج العام للوحة فمع التغيير في اللون يظهر تغيير في صيغة الخطوط وتراكيب أشكالها. لقد استخدم (كلي) في اتجاه رسومه لغة من العلامات والرموز من الباطن التي تمزج الواقع والتجريد. فالفنان إنسان طبيعي فهو جزء من الطبيعة، لذلك كان (كلي)يعتقد إن التجربة وحدها لا تكفي فكان يبحث عن العلاقة بين العقل والطبيعة، وكان أيضاً متيقظاً للإيحاءات الواقعية التي تشكل النظام التجريدي في التكوين على عناصر بنائية ثابتة ومتمركزة هي (اللون والخط والشكل والفضاء) إذ يشتغل اللون ببناء وقانون نظمي محققاً إيقاعاً لونياً منسجماً في كل وحدات النص من خلال التكرار اللوني. فالعمل احتوى على بنية علاقات لونية متمازجة، مشكلة من اللونين (الصفر + الأخضر) مع تدرجاتهم.

- **التكوين واللون كإيقاع موسيقي في اللوحة رقم 5الجمل 1920:**

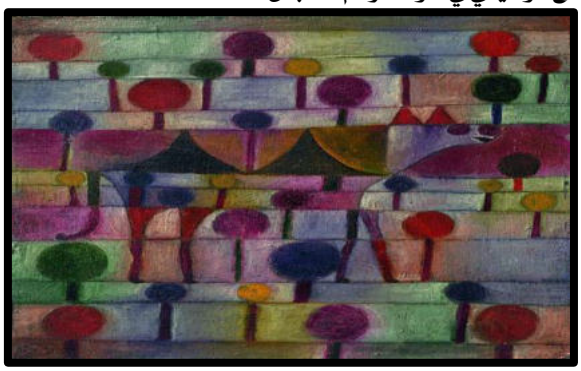

اللوحة رقم 5: الجمل 1920م للفنان بول كلي

هنا في لوحة (الجمل) تمزج اللوحة الرسم البدائي الرمزي تمثيلي(الجمل)في مشهد إيقاعي من الأشجار باستخدامه للون يوضحان التجريدية عند كلي تكونت عن طريق تكوينات لا شكلية لا موضوعية واتسامها بالشمولية الكلية والبعد عن كل ما هو عابر ونسبي، ومن خلال ذلك يتضح أن تجريد الشكل تقترب من النغمات الموسيقية لما في ذلك من ضرورة روحية، فتوسم بالجمال للمسار الفلسفي المثالي في تكوينه الفني، بعناصر بنائية عبر بول كلي على الغابة بشكلها المجرد بتكوين تجريدي يتكون من الصفوف متعددة الألوان محفوفة بدوائر وخطوط تمثل الأشجار، وجود جمل يمشي من خلال الصفوف وبين كتل الأشجار مكمل للإيقاع الموسيقى في عمله بناء الأشجار، فهنا يتخلل قيمة من القيم الفنية الجمالية في التكوين وهو التكرار مما أثر في العمق في اللوحة إن الطرق المستقيمة باتجاه العرض للوحة وكيف أن كل الخطوط الواقعة تحت وفوق مستوى النظر إلى خطوط مستقيمة تتخللها الأشجار المجردة والتي عبارة عن دوائر مرتكزة على أعمدة وضعيتها متناوبة في كل صف بألوان متموجة ثانوية مستخلصة من الألوان الأساسية وكأنه يخبرنا ويعلمنا أن أصل ثانوية الألوان تجتمع مع اللون الأساسي ويظهر اهتمامه بنظرية اللون الثانوي، فيما تنحدر كل الخطوط الواقعية على مستوى النظر إلى نقطة المثلثات في مركز اللوحة وهي في العمق شكل حيوان متشكل بعدة أشكال هندسية متنوعة الألوان. لقد وضع الألوان التكميلية في علاقتها بالحركات التي تتفاعل مع بعضها البعض، مما يدل على أن هذه الإيقاعات تستند إلى الحركة الديناميكية. وهي لوحة تستكشف النسيج الموسيقي من خلال التدرجات النغمية، وهي قطعة تجمع بين الألوان الأساسية والثانوية والتكميلية كما لو كانت نوتات موسيقية وهنا يُبرز صياغة الشكل مع الموسيقى في صيغ التكرار الإيقاعي لتكويناته البنائية و منح أشكاله حركة مستمرة ومستديمة ؛لتظهر بتراكيب بنائية ديناميكية تقود حركة موسيقية.

الخاتمة :

إن بنائية الشكل الخالص لدى الفنان بول كلي استمدت قيمها الجمالية المثالية من خلال منظومات شكلية مجردة تنهض على ما حققه من تجانس بين المتضادات البنائية في الخط واللون، دون انغماسه في واقع المرئيات بل خلق لغة منتظمة من الإشارات و الخيال والوحدات المصورة، فتبدو كأنها رشحت من أحاسيس خاصة؛ لتصبح هذه الأحاسيس تمتلك قابليتها في الإشعاع والتواصل إلى مالا نهاية، فالتقسيمات المربعة والمستطيلة بخطوطها البارزة الأفقية والعمودية ومساحات الألوان المتداخلة الإيقاع الموسيقي عندما مزج بول كلي أسلوبه الفريد في التلوين وخلفيته الموسيقية في التراكيب فإن الأشكال التجريدية الخالصة التي أظهرتها الخطوط غطت المساحات اللونية بشكل كامل وأحدثت تناغماً مع انتقالات اللون بشكل تتكشف فيه آلية النسق البنائي الكلي الذي تحكم بالنسيج العام للوحة، فمع التغيير في اللون يظهر تغيير في صيغة الخطوط وتراكيب أشكالها بنسق هرموني بنفس الأسلوب من الألوان الزاهية والأنماط التفصيلية، المليئة بالطاقة والحركة على الرغم من أنها تشترك في الصفات الأسلوبية الشائعة، إلا أنها دائما متغيرة ومتجددة.

من خلال الدراسة لأعمال بول كلي نستنتج أن فهم الفن التجريدي ابتكار يدعوك لاكتشاف المعنى وراء العمل الفني ليس من السهل فهمه، مثل الصور المتحركة أو الصور الشخصية أو أي شكل آخر من أشكال الفن التمثيلي ؛ لأنه مفتوح للتأويل بطريقة لا تمثل الفن الواقعي. الفن التجريدي حر التعبير للمشاهد و يتطلب الفن التجريدي أن يكون لدى المتلقي عقل مفتوح، مستفسر، متأمل و يجب على المشاهد أن يتعمق في اللوحة ويرى ما بداخلها من أسرار عمق المعنى. يمنح الفن التجريدي حرية استكشاف العمل الفني وتحديد المعنى الخاص بالمتلقي للوحة الفنية. وأيضا يعبر الفن التجريدي عن أشياء تتجاوز ما يمكننا رؤيته بأعيننا بدلاً من تصوير الصور التي يمكننا فهمها بسهولة، يركز الفن التجريدي على عالم العواطف غير الخطية والعواطف الباطنية. إنها لغة الشكل واللون من خلال الألوان والأشكال

والتكوينات، وكذلك من خلال العمل الفني التجريدي نستكشف العوالم الداخلية والجوهرية وطبيعة الوعي والروحانية

إن الفنانين التجريدين ومنهم بول كلي خاصة كان لهم الأثر البالغ في تطور المدرسة التجريدية وصقل كل ما هو متعلق بالحس الداخلي، إن التجريدية لها قيمة جمالية في الفلسفة المثالية التي كانت تدعو إلى الابتعاد عن الأشكال التقليدية في محاكاة الواقع، وهي ترى أن الشكل التجريدي يقدم جمالاً مختلفاً ومتفردا ، كما هو الحال في فن الموسيقى الخالص من خلال التكوين واللون كإيقاع موسيقي.

التوصيـــات :

يوصي الباحث بدراسة أكثر عمقاً لثقافة وفلسفة الفن التجريدي بكل أنواعه؛ لأنها تعطي الأشكال الفنية جمالاً وعمقا في التعبير والحس الفني.

المقترحـــات :

يقترح الباحث تطبيق ما يدرس في تاريخ المدارس الفنية الحديثة ومادة التذوق وعلم الجمال الفني الحديث لطلاب الفنون الجميلة ؛لكي تكون لديهم فكرة واضحة عن التجريد المثالي والتناغم الفني.

المراجع والهوامش :

1) البسيوني.عفيفي1927 التجريد في الفن: القاهرة الناشر، تاريخ النشر 1950 مكتبة النهضة المصرية.
2) جيروم ستولنتز،1981 النقد الفني ـ دراسة جمالية وفلسفية ـ ترجمة فؤاد زكريا ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت.
3) طارق مراد،2007 موسوعة المدارس الفنية للرسم التجريدية و الفن التكعيبي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.
4) فداء حسين ابو ديسة، خلود بدر غيث، محمد علي الصمادي،2010، فلسفة الجمال عبر العصور، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع عمان الاردن ط1 العدد الثالث والرابع.

المراجع الاجنبية ومصادر لوحات الفنان بول كلي :

1. Munre, T.1969, The psychology of Art: Past, Present, Future, in: psychology and Visual art, ed. by. J. Hogg. London: Penguin Book,
2. Grohmann ،Will,1955،Paul Klee ،Harry N. Abrams ،Inc. ،New York، collection of Paul Klee art works
3. https://www.guggenheim.org/artwork/artist/paul-klee/page/2+1
4. https://en.wikipedia.org/wiki/Paul_Klee
5. https://www.marefa.org Paul Klee \art\ collection

★ ★ ★ ★ ★